مهارة المحادثة و أسباب ضعف الطلاب الصينيين فيها

(Lao Lingling) الاسم العربي رشيدة*

مستخلص البحث:

وفقًا لمسيرة التطورات اللغوية ونظام دراسة اللغة الثانية تحتل مهارة المحادثة مكانة مهمة، وتعد جزءًا أساسيًّا لا غنى عنه في تعليم اللغات الأجنبية في الجامعات والمعاهد الصينية، و لاسيما بعد طرح فكرة "الحزام والطريق" من قبل الحكومة الصينية والتي تعتمد على التبادل والتواصل المكثف في هذا العصر بين الصين والدول العربية في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والتجارية، وانطلاقًا من هذه الفكرة يقوم متعلمو اللغة العربية الصينيون في الجامعات والمعاهد الصينية بدور الجسر اللغوي في هذه التبادلات، ولذلك فإن إتقان مهارة المحادثة من قبلهم غاية في الأهمية بغية رفع قدرتهم على التواصل الشفوي ودفعهم بقوة للتنافس فيما بينهم، غير أن تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية يقتصر إلى حد بعيد على تحفيظ العبارات وتحريرها وترجمتها، وهذا ما أضعف طلاقة معظم المتعلمين الصينيين للغة العربية في مهارة المحادثة قبل تخرجهم في الجامعات، فأغلبهم يفضل أن يتعلم اللغة العربية بطرق غير فعالة، وطرائق التعليم هذه لا تساعدهم في تقوية طاقتهم التعبيرية في المواقف اللغوية التواصلية المختلفة، وهذا ما يؤدي بالمتعلمين الصينيين إلى سوء الفهم أثناء تبادل وجهات النظر في مناقشة قضية ما مع الناطقين بالعربية، وذلك لأنهم لا يدركون الأهداف الصحيحة من عملية التواصل الشفوي .

* رئيسة قسم اللغة العربية بكلية اللغات الشرقية في جامعة الدراسات الأجنبية بقوانغدونغ.

تمهيد

مما لا شك فيه أن مهارة المحادثة أحد لوني الإنتاج اللغوي حيث إن البشر يتواصلون مع بعضهم في حياتهم شفويًا أكثر مما يتواصلون كتابيًا. و أشار العلماء[2] إلى أن إجادة اللغة لا تعتمد على العلم بل على الممارسة اللغوية (من هنا فإننا عندما نقابل متعلمًا للُّغات نبادئه بالسؤال الآتي : كم لغةً تتحدَّث؟ وهذا إنما يعني أن الحديث باللُّغة وإجادتها والتواصل بها هو معيار الكفاءة فيها، وهذا الكلام هو عين الصواب ويؤيده ما توصَّل إليه خبراء تعليم اللُّغات الثانية، حيث إنهم اتَّخذوا من المحادثة محورًا لتعليمهم هذه اللغات سواء في اختيارهم للمادة العلمية، أم في اقتراحهم لأساليب النشاط اللُّغويِّ داخل حجرة الدرس، أم في استثارتهم دوافع المتعلمين للتعلُّم، وتحريكهم الرغبة في نفوسهم، ومما تقدم يمكننا أن نقول إن الـــمحادثة موقف من مواقف الاتِّصال اللُّغويِّ الاجتماعي الحر، والتلقائي يدور بين شخصين حول موضوعٍ معيَّنٍ، أو قضيَّةٍ يشعر كُلٌّ من الـــمتحادثين أنَّ لديـــهما شيئًا يريدان توصيله أو تبادل الرأي فيه، و لكلٍّ منهما حقوقٌ وواجباتٌ، وفيها يشعر الإنسان بذاته وحقِّه في أن يُعبِّر بالطريقة التي يـــحبُّها، فيستخدم ألوان الحديث على سجيَّته بما يطيب له و يقدر عليه، مع وجود متغيِّراتٍ كثيرةٍ تحكم هذه العمليَّة وتسيُّرها بشكلٍ قد لا يتوقَّعه السامع[3].

تعريف مهارة المحادثة:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة على الإنترنت [4] تحدَّثَ بـــ، تحدَّثَ عن يتحدَّث، تحدُّثًا، فهو مُتحدِّث، والمفعول مُتَحَدَّث به، وتحدَّث الشَّخصُ، وتحدَّث بالواقعة، وتحدَّث عن الواقعة :تكلَّم عنها وأخبر بها، وبهذا قال الدكتور علي أحمد مدكور في تعريف التحدث لغة" :كل ما يتكلم به من كلام وخبر[5].

وقد عرفها الدكتور محمد إبراهيم الخطيب اصطلاحًا في (مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها) بقوله"هو ما يطلق عليه التعبير الشفهي في مجال تعليم اللغة،

وهو الكلام المنطوق الذي يعبر عن أحاسيس وخواطر الفرد، وما يريد أن يوصله من معلومات وأفكار للآخرين، بأسلوب سليم(6)

ونعرفها بأنها شكل من أشكال التواصل مع الآخرين تعتمد اعتمادًا أساسيًّا على اللغة أو المنطوق، وهي وسيلة الاتصال الأكثر ممارسة في مختلف مواقف الحياة، و يجب على المتحدث الصيني باللغة العربية أن يمتلك مجموعة من القدرات منها:

- قدرته على تحديد الهدف من التحدث.
- قدرته على الاستخدام السليم لعبارات التحية و المجاملة و المقاطعة والاعتراض وتفنيد الرأي وتقديم الحجج والأدلة وغيرها من وظائف اللغة
- قدرته على الاعتناء أيما عناية باختيار المفردات للتعبير عن الأفكار المنظمة المراد إيصالها للمناقش أو المحاور والإصغاء إليه بغية اكتساب مفردات وتعابير جيدة وربما طريقة تفكير مختلفة.
- قدرته على استخدام لغة الجسد وإيماءاته وإشارته أثناء التحدث بما ينسجم وأفكاره.
- قدرته على تغيير مجرى الحديث بحرفية عالية عندما يصل مع الآخر إلى طريق مسدود
- قدرته على المناقشة والمحاورة الجماعية ومعرفته أسس وأخلاقيات قطع الحديث والاعتراض والتأييد والتوقف وغيرها
- قدرته على الانتباه إلى دقائق الأمور الموجودة في الحديث المطروق
- قدرته على سؤال المحاور الآخر عن طبيعة فهمه لما قاله من وجهة نظر.

فوائد مهارة المحادثة للمتعلمين الصينيين:

إن المبادأة بالمحادثات الطبيعية المتدرجة التي تقوم على وظائف ومواقف لغوية اجتماعية حياتية أمر في غاية الأهمية للمتعلم الصيني فهي تضعه في سياقات لغوية تمثل الإطار الطبيعي للغة، و الصورة الشفوية المتكاملة لها، وتشبع حاجاته

الملحة في استعمال ما تعلمه وحفظه من محادثات قصيرة مرتبطة بظروف المعيشة اليوميَّة، كالتحيَّة، والإجابة عن الأسئلة المتعلِّقة بالطالب وبيئته، وما يألفه من معان تعبِّر عنها تلك المحادثات، وإمكانيَّة تـمثيل المتعلم الصيني لهذه الـمحادثات، مـمَّا يساعد في تثبيتها في أذهانهم، ويضفي الـحيويَّة على الدرس.

مراحل تعليم مهارة المحادثة في الجامعات الصينية:

الـمرحلة الأولى: وفيها يركز المتعلم الصيني على الجانب الشفوي بالشكل التواصلي للغة، ويستطيع المتعلم الصيني في هذه المرحلة التعريف بنفسه، والتعبير عن الحاجات اليومية، والمواقف البسيطة، ويلقي أسئلة ويستخدم بعض الجمل المألوفة والعبارات التواصلية ويركب جملًا بسيطة عن نفسه وحياته. وتبدأ الدراسة في هذا المستوى من الأحرف ومن ثم ينتقل الطالب إلى تأليف جمل بسيطة، يتميز هذا المستوى بكثافة المفردات التي يتعلمها الطالب حول البيت والعائلة والوصف وأسماء المأكولات والمشروبات، وأما مهارة المحادثة في السنة الأولى في الجامعات الصينية فتقتصر على تحفيظ المتعلمين الجدد نماذج من المواقف اللغوية البسيطة التي تعبر عن حاجاتهم اليومية بعد ترجمتها لهم بلغتهم الأم، فيقرأ المعلِّم أوَّلًا المحادثة ويترجمها لهم، ثُمَّ يطلب من المتعلمين تكرارها جملةً جملة، أو تمثيلها إلى أن يألفوا أصوات اللُّغة ومفرداتها، وأن يتعرَّفوا على نمط الكلام والتعبير فيها .

الـمرحلة الثانية: يبدأ المتعلم في الجامعات الصينية في هذا المستوى بإجراء حوارات بسيطة حول معلومات غير شخصية، فينتقل من مرحلة المعلومات المحسوسة إلى المستوى الأدنى من التجريد من خلال استخدام بعض النصوص التي توظف لهذا الغرض، ومساعدته على فهمها واستيعابها أولًا، ثم على توظيفها بشكل صحيح ثانيًا، والتأكد من امتلاكه لهذه الوسائل اللغوية، وتتنوع النصوص بين تاريخية واجتماعية وتراثية يتعرف الطالب فيها على جوانب مهمة من الثقافة العربية، وأما مهارة المحادثة في المرحلة الثانية فتدور حول موضوعاتٍ أوسع،

وقضايا أكثر تعقيدًا، ومواقف أكثر تجريدًا، وأفكارٍ يقرأها المتعلمون الصينيون في نصوصٍ معيَّنةٍ (مسموعةٍ أو مقروءةٍ) يستنتجون منها أفكارًا ينسجون حولـــها قضايا يتناقشون فيها، ومشكلاتٍ بسيطةٍ يتبادلون وجهات النظر بصددها .

الـــمرحلة الثالثة: تركز هذه المرحلة على قدرة المتعلمين الصينيين على التعامل مع نصوص مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية وتاريخية وثقافية إضافة إلى القواعد التي تساعدهم في فهم التراكيب والعبارات المدروسة، ومهارة الكلام التي تخلق لهم فضاء واسعًا يستخدمون فيه ما يبغون من المفردات ضمن سياقات لغوية مختارة من قبلهم، وتمثِّل أعلى مستويات المحادثة في تعليم العربيَّة لهم، ويتوقَّع منهم مـــمارسة المناقشة الحرَّة التلقائيَّة التي تـــجري حول موضوعٍ معيَّنٍ .وفي هذه المرحلة يكون المتعلم الصيني ذا خبرةٍ لغويَّةٍ واسعةٍ، وقدرةٍ على استخدام التراكيب النحويَّة استخدامًا صحيحًا، وفهم الصيغ المختلفة والتعبير عنها، و يتبنَّى وجهة نظرٍ معيَّنةٍ يدافع عنها ويتبادل الآراء مع زملائه حولها .ودور المعلِّم في هذه المرحلة هو دور الموجِّه للحديث، والمراقب لمجراه والضابط لحدوده، والمصحِّح لأخطاء المتعلم، والموجِّه للتيَّار الفكري فيه [7].

أهداف تعليم مهارة المحادثة في الجامعات الصينية:

يـــهدف تدريس مهارة الـــمحادثة باللغة العربية في الجامعات الصينية إلى تنمية قدرة متعلمي اللغة العربية على الـــمبادأة في التـــحدُّث، دون خجل أو وجل، وتمكينهم من توظيف ثروتهم اللغوية من مفردات وتراكيب تشبع حاجاتهم وتعزز إحساسهم بالثقة وحاجتهم إلى التقدم وقدرتهم على الإنجاز.

إضافة إلى تنمية قدرتهم على الابتكار وحسن التصرُّف في الـــمواقف اللغوية المختلفة واختيار الردود المناسبة لكل موقف يُحتمل مرورهم بـــه، وتدريبهم على الاتِّصال الفعَّال مع الناطقين بالعربيَّة،و معالـــجة الـــجوانب النفسيَّة الـــخاصَّة بالـــحديث، وتشجيعهم على أن يتكلَّموا بلغةٍ غير لغتهم، وفي موقفٍ مضبوطٍ إلى حدٍّ

ما أمام زملائهم، وهذا يساعد في تهيئة المتعلم الصيني للخوض في مواقف الـــحياة الطبيعيَّة خطوةً خطوة[8].

أسباب ضعف متعلمي اللغة العربية الصينيين في مهارة المحادثة:

من خلال خبرتي العملية وعملي كرئيسة لقسم اللغة العربية وآدابها لسنوات عدة في جامعة قواندونغ للدراسات الأجنبية، واحتكاكي برؤساء قسم اللغة العربية في الجامعات الصينية، ومناقشتي لهم و للخبراء الدوليين العرب لاحظت أن هناك ضعفًا في مهارة المحادثة وتعليمها في الجامعات الصينية، وهذا الضعف يعود لأسباب كثيرة منها ما يتعلق بالمتعلم وتهاونه واستخفافه ومنها ما يتعلق بالمعلم ومنها ما يتعلق بطبيعة الموضوع المثار للمناقشة وسأوجزها في النقاط الآتية:

1- متعلمو اللغة العربية الصينيون في الجامعات الصينية انطوائيون ومنهجهم في الحياة يقوم على مبدأ الوجبات الجاهزة، و هذا يعود لكونهم أبناء وحيدين يحصلون على ما يريدون من أهاليهم بسهولة ويسر، ويخجلون من الوقوع في الخطأ أثناء التحدث، ولذلك ليس من السهل كسر هذا الحاجز عندهم.

2- عدم توفر بيئة لغوية شبيهة بالمحيط اللغوي للغة المتعلمة تؤمن للمتعلمين الصينيين ممارسة لغوية حية مع متحدثي اللغة العربية .

3- إهمال الطريقة التواصلية في تعليم اللغة التي تهدف لخلق مواقف حياتية طبيعية للمتعلم الصيني و الاكتفاء بالمواقف اللغوية المصنوعة من قبل المعلم أو المنهج الدراسي.

4- المنهاج الدراسي لا يقوم على مواقف حياتية مشابهة لما يتعرض له المتعلم الصيني في حياته اليومية في البلدان العربية، ويخلو من الأغراض الواضحة والمحددة لتعليم التحدث وإتقان مهاراته من تنمية قدرته على المحادثة والمناقشة، و قص القصص، و إلقاء الخطب وإتاحة الفرص الحقيقية التى تثير دوافع المتعلم،إضافة إلى إهماله مهارتي التحدث والاستماع في المرحلة الأولى.

5- أغلب طرق التعليم المتبعة في الجامعات الصينية تعتمد على الطريقة الإلقائية بحيث يحظى المعلم بحصة الأسد من الموضوع المناقش.

6- أغلب المعلمين الصينيين والخبراء الدوليين ليسوا متخصصين في تعليم العربية لغير الناطقين بها، وإنما متخصصون في اللغة العربية، ولذلك لا يولون اهتمامًا يذكر بأنماط التعليم، والدافعية، والخلفية التعليمية للمتعلمين كافة، وهذا ما يشعر الكثير من المتعلمين بالملل وانعدام الحماسة والجرأة على المشاركة في النقاش.

7- طرائق تدريس أكثر المعلمين المختارة لمهارة المحادثة عقيمة وغير فاعلة ولا تعمل على التعزيز والخلق والإبداع عند المتعلمين الصينيين وتخلو من التعليم المشترك و العمل الجماعي.

8- اللغة العربية في الجامعات الصينية تدرس من أجل اجتياز الامتحان فقط، وليس من أجل اللغة نفسها، ولذا فإن عدد الساعات المخصصة لتدريس مهارتي الاستماع و القراءة الموجهة قليلة، و هما مهارتا استقبال تؤديان إلى إجادة التخاطب.

9- خلو اختبارات مهارة المحادثة من أنماط تعزز مفهوم النطق و التدريب على ماهية علم الصوتيات و بالتالي ينطبع النطق الخاطئ لكثير من المتعلمين في مهارة الاستماع[9].

10- أغلب نصوص مهارتي الاستماع والقراءة تقليدية و تخلو من خلفية مؤثرة ترتبط بمواقف جاذبة للمتعلمين و محفزة لهم على المتابعة.

الخاتمة:

وفي الختام: إن التواصل الشفوي باللغة المُتعلَّمة هو غايتنا وغاية كل معلم ومتعلم للغة العربية لغير الناطقين بها من خلال مراقبة العملية التعليمية ولاسيما في مهارة المحادثة التي هي لسان حال المتعلم الصيني لهذه اللغة، وإجادة الإنتاج اللغوي الشفوي من قبل المتعلمين الصينيين تكون بوضعنا أيدينا على الأسباب الحقيقية لمشكلتنا في الجامعات الصينية، وتحديدنا لأهم نقاط ضعف أبنائنا الصينيين في هذه المهارة وتشخيصنا المشكلة وتعاضدنا وتكاتفنا مع الأخوة العرب الخبراء في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لوضع معايير وتوجيهات ومقترحات في تدريس هذه المهارة يمكن أن تكون هدفًا نطمح إلى تحقيقه – معلمين ومتعلمين – وتغييرًا جذريًّا في أسلوب تعليم مهارة المحادثة وطرائق تدريسها في الصين ولاسيما بعد أن ازدادت دوافع المتعلمين الصينيين وحاجاتهم لتعلم هذه اللغة الشريفة لاستخدامها شفويًّا لنقل المعنى والمحتوى الثقافي منها و إليها في المجالات كافة.

توجيهاتٌ و توصيات عامَّةٌ مقترحة في تدريس مهارة المحادثة:

–المحادثة نمطٌ ثقافيٌّ يختلفُ من مجتمعٍ لآخر، ومن جماعةٍ لغويَّةٍ لأخرى . وعلى المعلِّم أن يقدِّم بدائل مختلفةً للمواقف اللُّغويَّة في حدود فهم المتعلمين ورصيدهم ومستواهم اللغوي، ولا ينتقل بين البدائل قبل أن يثق تمامًا من أنَّهم استوعبوها وفهموها واستطاعوا ممارستها أمامه .ويمكنه التدرُّج في موضوعات مهارة المحادثة بحسب المستوى، فطبيعة مواقف المحادثة تختلف من مستوىً لآخر، والموضوعات تبدأ بالاتِّساع، والمواقف تبدأ بالتنوُّع، والبدائل المختلفة للاستجابات تبدأ بالظهور، والرصيد اللُّغويُّ يبدأ في الازدياد.

–ينبغي على معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها أن يبتعد عن الكليشيهات، ويتحرر من تكرار العبارات المحفوظة و التنميط الموجود في المنهاج، وعليه أن يقدم

لمتعلميه أنماط حديث طبيعي غير مصنوع سيسمعه متعلموه من أبناء اللغة العربية ويستخدمونه.

– ينبغي على المعلم أن يوجه أنظار متعلميه إلى الكلمات الجديدة، وأن يستنبط منهم معنى الكلمة ويطلب منهم أن يشرحوا له استعمالها من خلال السياق، وأن يعطيهم بدائل لغوية لمواقف لغوية مختلفة وأن يشجعهم على صنع معجمٍ خاصٍّ بهم للمفردات والتراكيب الـــجديدة، وأن يـــحفِّزهم على استخدام ما تعلَّموه في سياقات لغوية جديدة من أجل تنمية رصيدهم اللغوي وأن يحثهم على القراءة الموسَّعة ولاسيَّما في المراحل الـــمتقدِّمة.

– تنمية قدرة المتعلم على المجاملة ومعارضة الآراء بطريقة لا تجرح الـــمتحدِّث، ولا تنال من قدره، وكذلك تنمية قدرته على الإبانة عن مشاعر الودِّ ومظاهر الاهتمام بكلام الـــمتحدِّث، وألَّا يـــحتكر التحدث، وأن يتعلم الصمت عندما يريد الآخرون الكلام والتعبير عن آرائهم وكل ذلك مطلبٌ رئيس للنجاح في إدارة محادثاتٍ في المجتمع الخارجيِّ.

– ينبغي أن يتم الانتقال إلى المجتمع الخارجي بتدرُّجٍ وهدوءٍ، مع توفير الإمكانات اللُّغويَّة عند المتعلم وبطريقة تسمح له بالانتقال دون تردد أو خوف من سخرية تنتظره في المجتمع الخارجي.

– ينبغي لمؤلفي نصوص المحادثة في الـــمستويات الأولى من تعليم العربيَّة للناطقين بلغاتٍ أخرى التدرُّج في اختيار التراكيب اللُّغويَّة، وقد أثبتت الدراسات أنَّ الـــجمل الـــمبنيَّة للمعلوم أسهل استذكارًا من الـــمبنيَّة للـــمجهول، والـــمثبتة أسهل من الـــمنفيَّة، والـــجمل الـــخالية من عبارات التوكيد أسهل من الـــممتلئة بـــها.

– على المعلم أن يكون محترفًا في إدارته لمهارة المحادثة فينبغي عليه ألا يحدد من سيقوم بالنشاط، لأنَّ التحديد المسبق يعطي باقي المتعلمين فرصة للاستراحة، وعدم

الانتباه والتركيز لكلامه، والأفضل بعد أن ينتهي دور المعلم أن يطلب متطوِّعًا من بين المتعلمين، أو أن يحدِّد بحسب معرفته السابقة بهم وبمستوياتهم.

– على المعلِّم أن يكون يقظًا للخطأ الذي يقع فيه المتعلم، وأن يُقدِّم له الصحيح في الوقت المناسب، من دون أن يوقفه لبيان أسباب التصحيح، فهدفه الأوَّل هو ألاَّ يتوقَّف تيَّار أفكار متعلمه، وهذا النوع من التصحيح يردُّه عن الخطأ، ويشجِّعه على الاستمرار في الكلام حيث لا يعترض طريقه شيءٌ.

– توفير وسائل مناسبة ومعامل اللغة ليتسنى للمتعلم المشاركة في المحادثة بصورة طبيعية تعزز ثقته بنفسه وتبعده عن الخوف من ارتكاب الأخطاء

–وضع اختبار معياري دولي دقيق لمهارة المحادثة يحدد مستوى المتعلم بحسب رصيده اللغوي.

المراجع:

1- رشدي أحمد طعيمة، المرجع في تعلم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، وحدة البحوث والمناهج، سلسلة دراسات في تعليم العربية.

2- علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية، دار الفكر العربي، 2000 م، مصر القاهرة

3- محمد إبراهيم الخطيب، مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها في مرحلة التعليم الأساسي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن عمان،2008م

4- معجم اللغة العربية المعاصرة على الإنترنت (تحدث)
http://www.maajim.com/dictionary

المراجع الأجنبية:

1- تانغ لي شينغ، مهارات تعليم اللغة الإنجليزية، دار النشر لتعليم اللغات الأجنبية، شنغهاي،2009

2- توان موسان، مجموعة من النظريات اللسانية، دار النشر شانغ وو، بكين، 2009

3- فريق من الأساتذة الصينين في بكين، منهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية، جامعة بكين،.2000

4- Rivers.W.M Teaching Foreign Languages Skills [M]. Chicago: The University of Chicago Press. 1981

الهوامش

1- Teaching Foreign Languages Skills p15-20

2- رشدي أحمد طعيمة، المرجع في تعلم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى ص 500 بتصرف

3- معجم اللغة العربية المعاصرة على الإنترنت (تحدث)

http://www.maajim.com/dictionary

4- علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية ص228

5- محمد إبراهيم الخطيب،مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها في مرحلة التعليم الأساسي ص276

6- منهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية، فريق من الأساتذة الصينين في بكين، بتصرف ص
178 – 180

7- تانغ لي شينغ، مهارات تعليم اللغة الإنجليزية بتصرف ص210 -200

8- توان موسان، مجموعة من النظريات اللسانية ص15 – 8